

## النقد التفاعلي عند سعيد يقطين؛ قراءة في كتاب "آفاق نقد عربي معاصر"

The interactive criticism at Said Yactine: a reading in  
"Horizons of contemporary Arabic criticism"

د. راوية برجم

جامعة محمد الشريف مساعديّة - سوق أهّراس (الجزائر)

تاريخ القبول: 2020/03/05

تاريخ الإرسال: 2019/12/12

## ملخص:

ارتبط النقد العربي في مختلف مراحلہ بالنقد والثقافة الغربية، من خلال ترجمة ونقل المناهج والنظريات الغربية أحيانا، وتطويرها بما يناسب الإبداع العربي أحيانا أخرى. لذلك صار حضور المنجز الغربي اليوم أمرا شائعا ودارجا في المحصلة النقدية العربية التي وجدت نفسها غير قادرة على الإشاحة عنه نظرا لثراء هذا المنجز وتنوعه.

ومن أبرز نماذج الثقافة النقدية نموذج الناقد سعيد يقطين، وتتمثل آخر محطة من محطات الثقافة النقدية عنده في الدعوة إلى مسايرة الأشكال الرقمية والتفاعلية في الأدب، نظرا لرواج ذلك في الساحة النقدية الغربية في ظلّ التطورات التكنولوجية الحديثة. وقد تجلّى انشغال سعيد يقطين بالنقد التفاعلي في عدد من مؤلفاته مثل: "من النص الى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي" وكتاب "النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية نحو كتابة عربية رقمية". ففي ظل نقد سعيد يقطين للمنجز النقدي العربي وإعادة النظر في كثير من أطروحاته ومنطلقاته، تبلور دعوته إلى تجديد الأدوات النقدية، وتطوير الوعي النقدي، وضرورة مواكبة الثورة المعلوماتية من أجل تأسيس رؤية نقدية جديدة "تفاعلية".

وتسعى هذه الدراسة إلى رصد مشروع النقد التفاعلي عند سعيد يقطين من خلال كتابه "آفاق نقد عربي معاصر".

الكلمات المفتاحية: النقد التفاعلي، الكتابة الرقمية، التجريب.

**Abstract:**

Arabic criticism in its various stages was associated with Western criticism and culture through the translation and transfer of Western curricula and theories sometimes and adapted it to suit the Arab creativity at other times.

Therefore, the presence of Western achievement today is common in the Arab criticism outcome, which found itself unable to annotate because of the richness and diversity of this achievement.

One of the most prominent models of intellectual criticism is Said Yaktine critic model, where the last station of literary criticism for him is to call for keeping pace with digital and interactive forms in literature. Due to the popularity of this in the Western critical arena in light of modern technological developments.

Said Yaktine's preoccupation with interactive criticism has been evidenced in a number of his works, such as: "From the coherent text: introduction to the aesthetics of interactive literature". Moreover, the book entitled "Coherent text and the future of Arab culture towards digital Arabic writing".

In light of S.Yaktine's criticism of the Arab critical achievement and reconsideration of many of his theses and premises, His call for the renewal of critical tools crystallizes and develops critical awareness, and the need to keep pace with the information revolution in order to establish a new critical vision interactive.

This study seeks to monitor S.Yaktine's interactive criticism project through his book Horizons of Contemporary Arabic criticism.

**keywords:** Interactive Criticism - Digital Writing - Experimentation.

**مقدمة**

إنّ افتتاح النقد العربي على النظريات والمناهج النقدية العربية انجزّ عنه الكثير من التبعات والمشكلات، التي أصبحت محل اهتمام النقاد العرب المعاصرين، فمنهم من تطرق إلى إشكالية المصطلح، ومنهم من انصرف إلى الانشغال بإشكالية المنهج ... وغيرها. أمّا الناقد "سعيد يقطين" فقد ارتأى إعادة النظر في مسار النقد العربي الحديث والمعاصر وتقييمه، والوقوف على تعثراته، من أجل التجديد، تجديد الأدوات النقدية والوعي النقدي

ساعيا إلى تأسيس رؤية نقدية جديدة، وتمثل طموحه في إرساء معالم مشروع النقد التفاعلي والكتابة الرقمية والتفاعلية في الأدب. ممّا يقودنا غلى مناقشة الموضوع من خلال الإشكاليات التالية: هل استطاع الناقد العرب تأسيس فكر نقدي له خصوصية؟ أم أنه خلاصة تطبيق مقولات وأسس مناهج غربية؟ ما هي الأسس التي ارتكز عليها النقد العربي الحديث والمعاصر؟ وما هي أفاقه؟

## 1- واقع النقد العربي:

طرح "سعيد يقطين" قضية النقد العربي بطريقته المتميزة، فلم يكن هدفه من ذلك رصد ووصف مساره، وإنما سعى إلى "تدقيق زاوية النظر التي ننظر من خلالها إليه. كما يتطلب البحث رؤية نقدية جديدة بديلة، ويستدعي ذلك إنجاز قراءة نقدية علمية للرؤية النقدية المتحققة، ومعاينة حدودها وتقييمها تقييما يراعي خصوصيتها وسياقها من جهة، كما يستدعي من جهة ثانية تعيين الأفاق التي نرمي الوصول إليها أو استشرافها<sup>(1)</sup> أراد "سعيد يقطين" السمو بالنقد العربي من خلال تحديد الأدوات النقدية، فكان تطرقه لمساره ذو غاية محددة، وحديثه عن مطبات وتعثرات النقد العربي لم يكن بغرض الوصول إلى القول بقصور ذلك النقد وعجزه، وإنما أراد الوقوف عند الأفاق التي ترمي إلى تحقيق رؤية نقدية جديدة تحمل رهان النقد التفاعلي.

استهل "سعيد يقطين" دراسته بطرح مجموعة من الإشكاليات، ممّا يدل على منهجية واضحة في التحليل، والتي تبرر وجهة نظره الخاصة "ماذا نريد من وراء هذه القراءة؟ هل ينبغي تقويم المسار النقدي لنصل إلى قول "إنّه جيد" ... أم أننا نريد الانتهاء إلى أنه دون المستوى المطلوب؟ .. وإذا انتصرنا لهذا التصور أو ذاك فعلى أي أساس؟ و ما جدوى هذا الحكم أو ذلك؟<sup>(2)</sup> "ما الأسس والمقاصد التي تتحكم في قراءة النقد العربي؟ ما الذي يحدد منطلق القراءة وغاياتها؟ والأسس التي ننتقل منها في الوصف والتحليل؟ هل تنشأ القراءة الإجابة عن سؤال يتصل بوضعية النقد العربي في الواقع الكائن ..."<sup>(3)</sup> وغيرها من الأسئلة التي يرى الناقد أنها أساسية لصياغة موقفه والإحاطة بكلّ أبعاد الموضوع المعرفية والعلمية.

أراد الناقد مناقشة الإشكالية بطريقة معمّقة، حيث كان تطرقه لواقع النقد العربي من أجل تقصي جذور القضية، والإلمام بكلّ السياقات والابتعاد على الأحكام المسبقة. لذلك تطرّق أولاً لعلاقة النقد العربي بالخلفية المعرفية الغربية نظراً لارتباطه الوثيق بالنقد الغربي منذ نشأته، "حيث وجد العرب أنفسهم مباشرة أمام معرفة الآخر (الغرب) التي خطت خطوات بعيدة جداً في مجال تحليل الإنسان والتاريخ والمجتمع ومختلف النشاطات التي بُجّمت عن علاقة الإنسان بالعالم وكان على المثقف العربي أن يتفاعل مع هذه المعرفة الغربية عن محيطه وسياقه الثقافي"<sup>(4)</sup> تحمل عبئ الانفتاح عن الثقافة الغربية وتصل من منابعها العديد من الدارسين والباحثين والنقاد العرب، وذلك من خلال البعثات العلمية والتعرف على اللغات الأجنبية، والترجمة، بالإضافة إلى الإستعانة بأعمال المستشرقين حول الثقافة العربية.

## 2- النقد العربي والنقد الغربي (المتقطع / المتحول):

درس "سعيد يقطين" صور الاحتكاك العربي بالنقد الغربي من خلال ثلاث إبدالات تتمثل في - "الدراسة التاريخية للأدب (المرحلة اللانسونية) - دراسة المضامين وأبعادها الإيديولوجية (الواقعية) - التركيز على الأشكال ونظريات التأويل (البنوية) وما بعدها"<sup>(5)</sup>

حيث سعى الناقد من خلال دراسته لما أسماه "إبدالات" إلى تقصي دور كل منها ومدى تأثيره في الوعي والممارسة النقدية العربية، وذلك من أجل استخلاص طريقة التفاعل مع المعرفة الغربية واستثمارها. فوسم "سعيد يقطين" مسار النقد العربي بانفتاحه على نظيره الغربي منذ عصر النهضة ب"المسار المتقطع".

يصل الناقد بعد دراسة متأنية لطبيعة تلقي النقد الغربي في مختلف مراحلها، والذي وصفه بـ "الانقطاع"، ويقصد به عدم وجود انسجام في الانتقال إبدالاً إلى آخر أو مرجعية إلى أخرى الشيء الذي يعني أنّ هذه الإبدالات لا تتحقق على أساس طبيعي وداخلي للاتجاهات النقدية التي تمارس في الواقع الأدبي العربي، وتبعاً لتبدل مجالات الإبداع، وتبلور اتجاهات جديدة فيه<sup>(6)</sup> أي أن الانفتاح على المعارف والمناهج الغربية يبدو متسارعا واليا كما يلمس الناقد أيضا "تفاوتا زمنيا" بين الإبدالات، حيث لا يتم تلقي النظريات الغربية

إلاّ بعد تداولها في وسطها الذي ظهرت فيه بقترة زمنية معتبرة، بل وتجاوزها إلى غيرها، أي هناك فارق زمني طويل يفصل بين ظهور النظرية وتلقيها في النقد العربي. وهذا ما يذهب إليه الناقد "سعد البازعي" أيضا " ... منذ بدأت مشاركتي للحياة النقدية العربية قبل ما يقارب العقدين، وهي مشاركة متواضعة بطبيعة الحال، لكنها عانت منذ البدء باكتشاف أن كثيرا من النقد العربي الذي أطلعت عليه وتمثل في بعض أشهر أقطابه يقوم على الكثير من التهالك على النظريات والمناهج الغربية والاستعجال في تمثيلها"<sup>(7)</sup> إنّ تخصص الناقد بالأدب الإنجليزي ودراسته للأدب الغربية جعله يكتشف مدى قصور النقد العربي، وهذا الحكم نابع أساسا من إطلاعها على عدة تجارب نقدية عربية في استثمارها للمعرفة الغربية لكن هذا لا ينفي إقراره بوجود محاولات نقدية عربية قد جسدت التفاعل الإيجابي مع النقد الغربي.

ويرى "يقطين" أنّ التفاوت الزمني والانقطاع الذي يميز طريقة الانتقال من نظرية إلى أخرى، بل إلغاء الإبدال السابق والاستغناء عنه نهائيا، ممّا يمثل عائقا حائل دون تحقيق انفتاح فعال، وعدم مواكبة الأبحاث الحديثة المتداولة على الساحة الغربية كالكتابة الرقمية حيث "تطورت الأبحاث التي تعني بالنص المترابط (Hypertescte) اللا خطي، أو المتعدد الخطية بصورة مذهلة، وهناك أدبيات واتجاهات ومدارس لا حصر لها في هذا الاتجاه، نجد الإبداع العربي والدراسة الأدبية العربية ما يزال بمنأى عن الاهتمام بالوسيط الجديد في إنتاج وتلقي الإبداع التفاعلي"<sup>(8)</sup> أي أنّ السبب الرئيسي في عدم التفاعل بطريقة إيجابية مع النقد الغربي وملاحقة آخر إصداراته، يعود إلى التأخر في عملية الاستقبال والتسرع في استثمار تلك المعارف الغربية والانتقال من نظرية إلى أخرى دون وعي، ممّا أدى إلى التأخر عن اللّحاق بالركب الحضاري " ... فالمثقف الذي يظل بمنأى عن التعامل مع الإنجازات الجديدة وعن العمل من خلالها في مجال تخصصه، أيا كان، يضل في رأبي مثقفا تقليديا مهما كان عطاؤه في اختصاصه"<sup>(9)</sup>

ولم يقتصر "سعيد يقطين" على رصد علاقة النقد العربي بالخلفية المعرفة الغربية، وإنما تطرق أيضا إلى مسار النقد الغربي وتطوراتها منذ بداية القرن العشرين، وذلك بهدف تبيين أوجه التفاعل بين النقد العربي والنقد الغربي، وقد أطلق عليه مصطلح "المسار المتحوّل" لأنّ

المعرفة النظرية الغربية عبارة عن إنتاج مستمر أو متحول " لأنّ الإبدالات في تواترها التاريخي وتداولها تبين على صيرورة من التطور الذاتي الطبيعي القائم على التراكم الكمي والنوعي"<sup>(10)</sup> الأمر الذي جعل المعارف الغربية في تطور مستمر وذات إنتاجية ومردودية.

يرصد "سعيد يقطين" تطورات وتحولات المسار النقدي الغربي، محدداً هدفه من ذلك وغاياته، واقفا عند العوائق والأسباب التي حالت دون الاستفادة من تلك النظريات والمناهج الغربية، وتحديد السبيل الذي ينبغي انتهاجه من أجل النهل من منابع النقد الغربي ساعياً إلى "اقتراح رؤية نقدية جديدة تبنى على أشكال جديدة من التفاعل الإيجابي الذي يساهم في تطوير وعينا ومعرفتنا بالنص والمجتمع، وتغيير مسارنا يجعله ينتقل من الإنقطاع إلى التحول"<sup>(11)</sup> يبدو طموح الناقد واضحاً من خلال تعرضه لطبيعة النقد العربي وتطورات النقد الغربي والمتمثل في تحقيق نقد عربي تفاعلي.

وقف الناقد عند المخطات الكبرى في الحركة النقدية الغربية ابتداءً بالشكلايين الروس الذين ترجمت أعمالهم فيما بعد وحققوا رواجاً كبيراً، وكذلك تأثير اللسانيات بفضل محاضرات دي سوسير، ثم ظهرت البنيوية وكان لها صدًى كبيراً مع ظهور اختصاصات جديدة تقوم على أسس بنيوية، وكل هذه الإبدالات قد اتخذت النص الأدبي مجالاً للدراسة وقد عرفت البنيوية شيوعاً نظراً لاجتاهها نحو التحليل العلمي للنص. ويرى "يقطين" أيضاً أنه بتلاشي النزعة البنيوية قد ظهرت الاتجاهات ما بعد البنيوية، حيث تطرق الناقد لأهم إنجازات كل إبدال ورواده، موضحاً التفاعل القائم بين مختلف الاتجاهات النقدية والانسجام فيما بينها، حيث يكون التحول من إبدال إلى آخر كامتداد له وليس بالغاء "إن هناك عوامل عديدة تحدد التطور والانتقال من إبدال إلى آخر حيث يبدو التطور طبيعياً، ويكون التجاور بناءً على ما تحقق في حقبة سابقة، من خلال هذه الصيرورة نلاحظ أننا أمام مسار متحول: فمن النص إلى التناص، ومنه إلى السياق ومن الراوي إلى القارئ، ومن البنية إلى الوظيفة، ومن النص إلى المترابط"<sup>(12)</sup> إنّ هدف الناقد من رصده لمسار النقد الغربي والذي وصفه بالمتحول، يكمن في التركيز على أسباب ذلك التطور والتحول، والمتمثل في التفاعل بين مختلف المناهج والنظريات وتحولها طبيعياً دون قطيعة بينها. بل الاستفادة من

مختلف العلوم الأخرى. وهذا ما يفتقد إليه النقد العربي، نظرًا لتلقي معرفة نظرية نشأت في مناخ مغاير تمامًا، وغياب الوعي المعرفي والعلمي الذي جعل تفاعل النقد العربي ناقصًا الأمر الذي أدى بالناقد إلى وصفه بالمسار المتقطع.

أراد "سعيد يقطين" اقتراح رؤية نقدية عربية بديلة، تقوم على أسس عملية رصينة ومن أجل تحقيق ذلك أعاد النظر في مسار النقد العربي، فلم يقف عند علاقته بالنقد الغربي وأشكال التفاعل، وإنما تعدى ذلك إلى الغوص أكثر في جذور القضية، من أجل الإلمام بكل جزئيات الموضوع، فبحث في علاقة النقد العربي الجديد بالنص العربي، وأطلق من تحديده مفهوم النص "نقصد بالنص العربي، كل ما أنتجه العربي بغض النظر عن الزمن أو الجنس أو النوع ذلك لأن أية ممارسة نقدية جديدة لا تكسب مشروعيتها إلا إذا أعادت النظر في كل إبداع، سواء كان قديمًا أو حديثًا أو معاصرًا..."<sup>(13)</sup> وكان هدف الناقد من الوقوف عند هذا المفهوم هو البحث في نتائج تعامل النقد العربي الجديد (الذي يعتمد على خلفية معرفية غربية) مع الإبداع العربي قديمه وحديثه، وتقصي مدى نجاح القراءة النقدية الجديدة التي تستند على أدوات مستوحاة من النقد الغربي، وقد استدعى ذلك دراسة ثلاثة خطوات "لابد لنا أولاً من رصد تحولات النص العربي الحديث، وثانياً وضع اليد على أهم القضايا المتعلقة بالنص العربي القديم، لنتمكن ثالثاً من الوقوف عند كيفية رؤية هذا النقد لذلك الإبداع في مرآته الخاصة."<sup>(14)</sup> اعتمد الناقد على رسم خطوط اشتغاله منذ بداية مما بين طريقته المتميزة في الطرح والتحليل.

تعرض "يقطين" إلى أهم التحولات التي طرأت على النص العربي الحديث منذ عصر النهضة، والمتمثلة في حركة التجديد التي شهدتها الشعر، كما ظهر الشعر الحر، واستمر في مواكبة التغيرات الاجتماعية مما أدى إلى ظهور تجارب عربية مختلفة تنوعت اتجاهاتها. كما شملت هذه التطورات أيضاً القصة القصيرة والمسرحية، وكذلك الرواية التي لاقت نجاحاً كبيراً وقد تعددت الموضوعات التي تناولها. وعاد الناقد كذلك إلى النص القديم لتقصي ملامحه فتوصل إلى أن الإبداع العربي القديم غني ومجالاته متعددة شعراً ونثراً. وكان تطرق الناقد للنص العربي قديمًا وحديثًا من أجل تشكيل صورة للإبداع العربي، لكي يتمكن من بلوغ

غايتة المتمثلة في مناقشة الإشكالية التالية: كيف تعامل النقد الجديد مع النص العربي في ظل تطوره؟ وكيف نظر إليه في مرآته الخاصة؟

لـطرح هذا الموضوع خاض الناقد أولاً في قضية النقد العربي الجديد، والذي اتكأ على خلفية غربية، حيث وجد أنه ما يزال في مراحل الأولى بالرغم من مرور زمن طويل على ظهوره ولكن لم يكتمل نضجه "وعلاوة على ذلك فهو يعرف نوعاً من التفاوت بين الأقطار والجامعات العربية في الإقبال عليه والتعامل معه. وإلى جانب هذين المعدين المتحدين نجد ما يزال عبارة عن عمل أفراد تشبعوا بصورة أو بأخرى بالفكر الغربي.." (15) يرى "يقطين" أن النقد العربي لم يحقق بعد تفاعلاً إيجابياً، ولم يكتسب المبادئ الأساسية التي تسهم في تطوره، بالرغم من المجهودات المبذولة في تأسيس العديد من المجالات.

إنّ هذه الصورة التي رسمها الناقد لواقع النقد العربي الجديد بعد دراسة متأنية، جعلته يصفه بقصوره ومحدوديته في مساءلة النص الشعري الجديد الذي عرف تبلوراً وتطوراً، لكن الأمر مختلف فيما يتعلق بوضعية الرواية، حيث ظهرت دراسات نقدية وتحليل نصوص مفردة.

إنّ تطرق "سعيد يقطين" لكيفية تعامل النقد الجديد مع الإبداع العربي قديماً وحديثاً وسبر أغواره، والذي وصفه بالعجز والركود في مواكبة تطورات النص العربي، نظراً لكونه حقيق العديد من الإنجازات في ميدان الانفتاح والتفاعل، مما جعل النقد العربي عاجزاً عن كشف خبايا ذلك الإبداع ومضمراته، الأمر الذي دفع بالناقد إلى مناقشة معمقة لأصل القضية وتوضيح الملتبس فيها. حيث يربط قصور النقد العربي الجديد بالصعوبات التي تواجه الباحث الذي يتلقى معرفة نظرية نابعة من فئة أكاديمية لها مصطلحاتها الخاصة، والملتبسة لدى المتلقي، ضف إلى ذلك عدم التكامل بين الأبحاث والتواصل بين الجامعات وهيمنة الدراسات ذات الطابع الفردي. وبالتالي غياب مبادئ وأسس يشترك فيها كلّ الباحثين ويعتمدها في ممارستهم النقدية. كما يربط "سعيد يقطين" مردودية تحليل النصوص الشعرية أو السردية بالأهداف التي تسعى الدراسة إلى تحقيقها "تنحصر الأهداف القريبة فيما يلي:

- إبراز كفاية أو عدم كفاية الجهاز المفاهيمي والتصوري المستعمل في التحليل.

- إبراز البنيات المميزة للنص والكشف عن خصائصه البنيوية" (16)

أما الأهداف البعيدة "تتصل بالنظرية المنطلق منها، وقبولها تقديم نماذج كلية وتجريدية"<sup>(17)</sup> أي أنّ الناقد يسعى من خلال صياغة هذه الأهداف إلى القول بضرورة الارتكاز على أرضية متينة في التحليل والمتعلقة بالمعرفة النظرية المستوحاة من النقد الغربي وبالتالي لا بدّ أن يكون نقل تلك المعارف دقيقاً وواع.

لقد تطرق "يقطين" أيضاً لنقطة مهمة، وهي علاقة الممارسة النقدية بالتخصص، حيث يعتبر إمكانية تحقق تلك الأهداف القريبة والبعيدة مشروط بوجود رؤية نقدية أدبية جديدة ترتكز على التخصص، في ظل تطورا العلوم الأدبية وانقسامها لعدة فروع، حيث يرى الناقد أن غياب هذا التصور في الممارسات النقدية العربية حال دون تحقيق تلك الأهداف التي يجب أن تسعى إليها أي ممارسة نقدية "أما بالنسبة إلينا فانعدام التخصص، والتمييز بين العالم الأدبي والناقد الأدبي يجعل المشتغل بالنص الأدبي قادراً على فهم أي نص، وتأويل أي ظاهرة، فهو سريع الانتقال من قضية إلى أخرى، ومن عنصر من التحليل إلى غيره ومن جنس إلى نوع، هذه الانتقالات قد تجعلنا أمام دارس يقدم تحليلات أو تطبيقات في مستويات متعددة بلا رابط ولا هواجس معرفية أو منهجية"<sup>(18)</sup> إنّ عشوائية التحليل والتأويل دفعت بالناقد إلى القول بعدم وجود تفاعل حقيقي بين الممارسة النقدية والنص الأدبي، حيث يلّمح "يقطين" سمة الانقطاع التي تميز مسار النقد العربي، فغياب التواصل لا يكمن في الانتقال من نظرية إلى أخرى فحسب، وإنما يتجسد أيضاً على مستوى الممارسة النقدية الواحدة وسرعة الانتقال من قضية إلى أخرى دون انسجام ومبررات منهجية.

إن احتكاك النقد العربي بالنقد الغربي، بل ارتباطه الوثيق به، لا يعني أنه استفاد من مناهله وطبق مناهجه ونظرياته بشكل تام، وإمّا يصف "يقطين" هذا التفاعل أنّه غير إيجابي وبالتالي يصل إلى نتيجة مفادها قصور النقد العربي وعجزه عن دراسة النص العربي قديماً وحديثاً نظراً لغياب الوعي النقدي ممّا أدى إلى ظهور ممارسات نقدية تتسم بالتجزئ والاختزال، وعدم الاهتمام بعدة قضايا أساسية كقضايا تاريخ الأدب والأجناس الأدبية غياب الانسجام في الانتقال من تحليل ظاهرة إلى أخرى، وعدم انفتاحه على علوم أساسية كمنظرة المعرفة والانتروبولوجية ... وغيرها من النتائج التي توصل إليها الناقد والتي انجرت

عن التفاعل الناقص بين النقد العربي والنقد الغربي "وهي الملاحظات التي تمهد الطريق لـ "يقطين" لمحاولة استكناه السبل التي تمكن هذا النقد من التحول في وعيه وممارسته من واقع "الانقطاع" و"التوزع" والتبعية لإنجازات المرحلة العابرة إلى كيان نسقي يراكم "نوعياً" الخبرات والمعارف والإضافات النظرية والتحليلية، وهنا نصل مع الناقد إلى صلب أطروحاته في الكتاب وهي ضرورة الفصل بين مفهومي النقد الأدبي والعلم الأدبي، ومن ثم الانتقال من مظاهر "الانفعال" إلى قيم "الفعل" ثم "التفاعل"..."<sup>(19)</sup>.

إنّ تعرض "سعيد يقطين" لمسار النقد العربي بالدراسة والتحليل، ورصده لطريقة تعامل النقد العربي الجديد مع النص العربي والوقوف عند متطلباته ومواطن إخفاقه، لم يكن بهدف الوصول إلى القول بعجز هذا النقد وقصوره، لأنه يقترّ بجدية وأهمية بعض الممارسات النقدية العربية، وإتّما يطمح إلى اقتراح رؤية نقدية عربية جديدة تقوم على التفاعل الإيجابي والوعي النقدي، ممّا جعل مقارنته ذات طابع خاص ومتميز.

### 3- سعيد يقطين ورهان النقد التفاعلي:

تجسّدت دعوة "يقطين" إلى النقد التفاعلي من خلال إعادة النظر في مسار النقد العربي وتقييمه، مقترّحاً رؤية نقدية جديدة تقوم على أسس علمية ووعي نقدي، حيث نجد الناقد يبحث في الأسباب والعوائق التي حالت دون تحقّق "نقد عربي تفاعلي".

انطلق الناقد في دراسته من مجموعة من الوسائط، التي يعتبرها الأساس الذي يربط النقد العربي بالمعارف والنظريات الغربية، وتمثّل في:

"- الكتاب أو المجلة باعتبارها منتجاً قابلاً للاستهلاك والتداول.

- الترجمة التي يقوم بها باحثون أو دارسون عرب والتي من خلالها يتم نقل المعرفة النقدية الغربية إلى اللغة العربية.

- البعثات الثقافية، وتبدو في بعثة العديد من الطلاب والأساتذة إلى جامعات أجنبية"<sup>(20)</sup>

يهدف "يقطين" من خلال تركيزه على هذه الوسائط إلى تقصي الأسباب والعوائق والأسباب الكامنة على مستوى كلّ وسيط والتي أدت إلى عدم تحقّق التفاعل الإيجابي

واستثمار النظريات والمناهج الغربية بشكل تام، ساعيا إلى تجاوزها تحديد آفاق نقد عربي معاصر يقوم على أسس نقدية جديدة.

يرى "يقطين" أنّ عجز الباحث العربي عن مواكبة الدوريات والكتب الأجنبية، رغم أهميتها، والذي يعود إلى قلة تداولها في الوسط العربي إن لم نقل ندرتها، ممّا أدى إلى ضعف حركة الترجمة، بالإضافة إلى غياب المتخصصين في ذلك المجال، وعدم ترجمة بعض الأعمال الأساسية وأمّهات كتب النقد، وكذلك عدم الانفتاح على كافة اللغات الأجنبية. فمساهمة الكتب والمجلات الأجنبية في عملية التلقي تبدو ضئيلة، وهذا ما ينطبق على البعثات العلمية، التي لا يستفيد منها الباحث بشكل تام في الانفتاح على المعارف الغربية "نستنتج ولا نبالغ أن هذه الوسائط تظل قاصرة عن جعل تفاعلنا مع النظريات والثقافات الأخرى يتحقق على الوجه الأكمل"<sup>(21)</sup> يربط الناقد أسباب ضعف التواصل ومواكبة ما يزخر به النقد العربي من مناهج ونظريات بغياب رابط متين للثقافة.

يستمر الباحث في الحفر والبحث في العوائق التي أدت إلى ضعف استثمار المعارف الغربية، حيث لم يقف عند الوسائط السابقة، وإنما ركز على عوامل أخرى، يعتبرها أساسية تتعلق بغياب الوعي العلمي أثناء التعامل مع تلك النظريات الغربية، ممّا ينجر عنه "الاختزال النظري: ونجد ذلك كامنا في المزج بين النظريات والتوفيق بين إطارات نظرية متعددة دون التساؤل عن خلفياتها ونقط اختلافها وحدود كلّ منها وإستراتيجيتها ... البعد الذرائعي: في هذا العائق نجد الانطلاق في أغلب الأحيان من أفكار موجودة سلفا"<sup>(22)</sup> إنّ انعدام الوعي النقدي أدى إلى فهم جزئي للنظريات النقدية الغربية، مع استخدامها في سياق مغاير والربط بين آليات مناهج مختلفة دون التساؤل عن إمكانية ذلك، ضف إلى ذلك الانطلاق من معرفة جاهزة وتوظيف النتائج المتوصل إليها يدل على مبادئ وأسس النظرية ممّا يدل على غياب الروح العلمية ف "استقبال الآخر كثيراً ما يتحول إلى نوع من الاستهلاك أو التهلك الذي يؤدي إلى ضمور القدرة على الإبداع، نتيجة الاعتماد على جاهزية المعطى العربي"<sup>(23)</sup>.

إنّ الغوص في مسار النقد العربي، ودراسة مختلف تمفصلاته جعل "سعيد يقطين" يصل إلى نتيجة مفادها محدودية النقد العربي سواء في تلقي المعرفة الغربية أو في طريقة استثمارها في دراسة النص العربي، ممّا أدى بالناقد إلى البحث في أسباب ذلك، كما سعى إلى تجاوز هذا الوضع من خلال اقتراح مجموعة من الآفاق، التي بواسطتها يمكن تحقيق رؤية نقدية جديدة، حيث الانطلاق من "تجديد بين وعينا بالمسار النظري الغربي: ويستدعي هذا الوعي بكيفيات إنتاج الأفكار وتطورها، من جهة أولى، وتجديد طريقة التفاعل مع هذه النظريات الغربية، من جهة أخرى"<sup>(24)</sup>، يدعو الناقد إلى السير على نهج النقد الغربي والتحلّي بروح البحث العلمي، التي تقوم على التساؤل المستمر من أجل تجاوز أزمة النقد العربي ومواكبة التطورات الحديثة.

كما دعا الناقد أيضا إلى اعتماد منهجية محددة من أجل نجاح عملية التلقي، حيث يشترط فيها: اعتماد الباحث تخصصًا واحدًا، وزاوية نظر محددة، أي يجب حصر مجال البحث والإمام بمختلف تفاصيله لتكوين موقف خاص. "وعندما ينطلق إلى التحليل يكون مجهزًا بالعدة النظرية الأساسية، وموقف شخصي يؤهله لممارسة النقد، والاتفاق والاختلاف وفي هذه الحالة فقط يمكن أن نتحدث عن تفاعل إيجابي، لأن علاقة الباحث (العربي) بالمعرفة الغربية تعدو علاقة حوار، وليست علاقة استنتاج..."<sup>(25)</sup>، إنّ اعتماد هذه الأسس التي اقترحها الناقد في التعامل مع المناهج والنظريات النقدية الغربية يحكمها الوعي الإبستمولوجي، ممّا يجعل النقد العربي الجديد يتسم بالجدية ويحقق مردودية.

يدعو "يقطين" إلى النقد التفاعلي، من خلال تفحصه لواقع النقد العربي، وتحديد جملة من الآفاق لمسايرة النقد الغربي بطريقة فعالة قائمة على التجديد، تجديد الوعي الإبستمولوجي الذي يربطه الناقد بالوعي الاجتماعي، فالسائد في الفكر العربي أنّ الباحث لا يستطيع الانفصال عن الظروف الاجتماعية وإتمًا يتأثر بها في دراسته، وهذا ما أراد "يقطين" تجاوزه ودعا إلى اعتماد النقد الذاتي "واضح أن فتح حوار جاد لقرن جديد يستدعي تجديدًا على المستويات جميعها تجديد الذات (يتجاوز منطلق الثنائيات: الأنا والآخر)، وتجديد الموضوع (تغيير النظر في كل المسلمات)، والعمل على الانطلاق مع

التفاعل المبدع مع الذات ومع العالم ... فمتى يمكننا الانتقال من الانفعال إلى الفعل، ومن الانفعال إلى التفاعل؟ هذا هو السؤال الذي يعلمنا الجواب عنه نكون نضع أنفسنا على عتبة القرن الجديد<sup>(26)</sup> فالتفاعل الإيجابي - بحسب سعيد يقطين - يتطلب تجديد الوعي كخطوة أولى للولوج إلى أغوار المعرفة الغربية واستثمارها بجدية لتأسيس رؤية نقدية بديلة لها مقوماتها ومبادئها.

إنّ رهان المؤلف على النقد التفاعلي لا يقف عند اقتراحه رؤية نقدية جديدة تقوم على التلقي الفعال، ورسم الطريق إلى ذلك، وإنما يتعداه إلى الدعوة إلى مواكبة ما يروج في الساحة الغربية من تطورات تكنولوجية، أدت إلى تجديد مفهوم الأدب وسيره نحو المظهر الإلكتروني، والكتابة الرقمية "وفي نطاق هذه التحولات التي تفرضها الوسائط المتفاعلة ماذا سيكون مصير الناقد؟ هل ستحوّل وظيفته وأداؤه لتواكب موضوع الأدب التفاعلي فيفتح على نظريات المعلومات والسيرنيطيقيا والذكاء الاصطناعي والتواصل، ويؤسس لذلك لبلاغة جديدة وعلوم جديدة تهتم بالأدب التفاعلي"<sup>(27)</sup> يعتمد "يقطين" على طريقة السؤال في طرحه لموضوع التفاعل والإبداع الثقافي، وهذا بمثابة دعوة للناقد العربي لمسيرة الأشكال الرقمية والتفاعلية في الأدب.

تبلور اهتمام "يقطين" بالإبداع التفاعلي في كتابه "من النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي". هذا الكتاب الذي يرمي إلى تحقيق مقصد أساس هو دفع كلّ من المبدع والمتلقي العربيين إلى تكوين فكرة وتحصيل معرفة أولى عن النص المترابط وعن الإبداع التفاعلي وعن الوسائط المتفاعلة، وإلى خوض غمار "التجريب" تجريب مغامرة جديدة في الإبداع والتلقي، أي في التواصل<sup>(28)</sup>. أراد الناقد إرساء معالم جديدة في الفكر العربي، والتعريف بالشكل الجديد للنص الأدبي - النص المترابط - بالرغم من الفاصل الزمني الذي يفصلنا عن ظهوره في الغرب، ويمكن تعريفه بأنه "النص المقدم إلكترونيا بالاتصال بالشبكة أو دون الاتصال بها، بالإضافة إلى الاستعانة بالصوت والصورة والوسائط المتعددة، ويشترط فيه الحضور التام للقارئ للفعال والمتفاعل"<sup>(29)</sup> أي يتحول النص الأدبي من الصيغة الورقية إلى الإلكترونية ويصبح للقارئ دور هام بل يصبح شريكاً في الكتابة.

إن إعادة الناقد النظر في مسار النقد العربي، والوقوف عند تعثراته مقترحا رؤية نقدية جديدة رهاها التفاعل دليل على تميزه في محاولة النهوض بالفكر النقدي العربي. "وفي سياق الثقافة العربية يبدو "سعيد" رائداً يضع أقدامنا على أول الطريق نحو المعرفة راسخة موثقة واثقة من مساراتها، في طريق علاقة الثقافة واللغة والأدب بالواقع الافتراضي..."<sup>(30)</sup> إن بروز "يقطين" في مجال الاهتمام بالكتابة الرقمية كسبيل لمواكبة التطورات الحديثة ومسيرة آخر الابتكارات لا يعني تفرد في هذا المجال، فهناك عدة محاولات ودراسات عربية حول الأدب التفاعلي "وهي مازالت قليلة العدد بحيث يمكن القول: لدينا نقد تفاعلي، شكّل نظرية أو لدينا منهج نقدي تفاعلي له ملامحه المميزة ومن هذه الدراسات ما أنجزه كل من محمد أسليم وزهور كرام وفاطمة البريكي وأحمد فضل شبول وسمير ديوب"<sup>(31)</sup>.

إنّ انصراف "سعيد يقطين" وغيره من النقاد العرب للاهتمام بالأدب التفاعلي والدعوة إلى ضرورة إدخال التكنولوجيا الحديثة في مجال الأدب دليل على مدى أهميته ودوره في الانفتاح على عصر جديد بتوظيف مختلف الابتكارات، حيث تتعدّد مسالك القراءة ويمكن الربط بين عدة عناصر وجزئيات "حيث يفتح هذا الموضوع النص على علامات متعددة لغوية بصرية أو صوتية، تخترق النص مشكلة جزءاً من نسيجه العام"<sup>(32)</sup> فالنص يصبح منفطحاً على عدة نصوص أخرى متفاعلة مع بعضها البعض.

كما تقرّ الباحثة "فاطمة البريكي" أيضاً بأهمية الأدب التفاعلي في كتابها "مدخل إلى الأدب التفاعلي" والدور الذي أداه في دعم العملية الإبداعية وتطويرها، من خلال ظهور ما يطلق عليه "تعدد المبدع" في ظلّ التطورات التكنولوجية للأدب "وهذا ما سوّغ انتشار مصطلح (الكتابة الجماعية)، الذي بدأ يشقّ طريقه في فضاء النقد الأدبي بعد ظهور (الأدب التفاعلي) إذ تحرر المبدع من النظرة التقليدية السابقة التي ترى العملية الإبداعية معاناة شخصية"<sup>(33)</sup>، وعليه فإنّ الإبداع صار عملية جماعية يشترك فيها عدد من المبدعين والمتلقين أيضاً.

بالرغم من الجهود المبذولة في مجال الإبداع والنقد التفاعلي، إلا أنه ما يزال في مراحل الأولى، ومحاولات التأسيس له والتعريف بأسسه.

**خاتمة:**

اتسمت مقارنة سعيد يقطين لواقع النقد العربي بالوعي والجدية، حيث استعان بمنهجية محكمة قائمة على طرح الإشكاليات للتعبير عن موقفه، حيث انطلق من رصد مسار النقد العربي الحديث والمعاصر وعلاقته بالمرجعية الغربية، ساعياً إلى تقييم الإنجاز النقدي العربي واستخلاص ما يعترضه من عوائق واستكناه الطرق والوسائل التي تمكن النقد العربي من تجاوز العجز والقصور، من أجل الانتقال من واقع الانقطاع والتبعية إلى واقع التحول وتحديد الوعي النقدي في استثمار المعارف الغربية. وبالتالي السمو بالنقد العربي من خلال تأسيس رؤية نقدية تفاعلية، وقد تبلورت دعوته التجديدية إلى مشروع النقد التفاعلي كرهان لمواكبة النقد العربي للفكر العالمي.

**الهوامش والإحالات**

- (1) - سعيد يقطين وفيصل درّاج: آفاق نقد عربي معاصر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1 2003. ص11.
- (2) - المرجع نفسه. ص14.
- (3) - المرجع نفسه والصفحة.
- (4) - المرجع نفسه. ص20.
- (5) - المرجع نفسه. ص21.
- (6) - المرجع نفسه. ص28.
- (7) - سعد البازعي: استقبال الآخر (الغرب في النقد العربي الحديث)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004. ص07.
- (8) - سعيد يقطين وفيصل درّاج: آفاق نقد عربي معاصر. ص29.
- (9) - سعيد يقطين: من النص إل النص المترابط (مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005. ص30.
- (10) - سعيد يقطين وفيصل درّاج: آفاق نقد عربي معاصر. ص32.
- (11) - المرجع نفسه. ص34.
- (12) - المرجع نفسه. ص40.

- (13) - المرجع نفسه. ص43.
- (14) - المرجع نفسه. ص43.
- (15) - المرجع نفسه. ص46.
- (16) - المرجع نفسه. ص49.
- (17) - المرجع نفسه. ص49.
- (18) - المرجع نفسه. ص50.
- (19) - شرف الدين ماجدولين: سعيد يقطين وآفاق النقد العربي المعاصر، ضمن كتاب: السرد والسرديات في أعمال سعيد يقطين، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2013، ص97.
- (20) - سعيد يقطين وفيصل دراج: آفاق نقد العربي معاصر، ص54.
- (21) - المرجع نفسه، ص57.
- (22) - المرجع نفسه، ص59.
- (23) - سعد البازعي: إستقبال الآخر، ص15.
- (24) - سعيد يقطين وفيصل دراج: آفاق نقد العربي معاصر، ص62.
- (25) - المرجع نفسه، ص64.
- (26) - المرجع نفسه، ص74.
- (27) - المرجع نفسه، ص73.
- (28) - سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط، ص12.
- (29) - إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتقنية مدخل إلى الأدب التفاعلي عالم الكتب الحديث الأردن ط1، 2013، ص19.
- (30) - سعيد الوكيل: خطوة جريئة لربط الثقافة بالفضاء التخيلي: حماليات الإبداع التفاعلي ضمن كتاب: شرف الدين ماجدولين السرد والسرديات في أعمال سعيد يقطين، ص107.
- (31) - إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتقنية، ص09.
- (32) - لبيبة تخمار: شعرية النص التفاعلي؛ آليات السرد وسحر القراءة، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 2014، ص31.
- (33) - فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2006، ص189.